خَـطٌ جَدِيـدٌ لتَسهِيلِ الطِّبَاعَة

الدكتور عفيف بهنسي

(المدير العام للاثار والمتاحف) ــ دمشق

« تلقينا هذا البحث من كاتبه الفاضل ننشره الحاقا بما سبق نشره فى مضمار الخط العربى ومحاولات تيسيره وتطويعه لحاجتنا الحضارية المعاصرة فى الطباعة والتعليم ، آملين أن تنتهى هذه الابحاث والدراسات الى نتيجة ايجابية فى التطبيق » ·

□ من الصورة الى الابجدية :

بعد العثور على النقوش الكتابية فى سرابيط الخادم (سيناء) كشف النقاب عن حلقة هامة من تطور الكتابة العربية ، وهى مرحلة الانتقال من الصورة الى الحرف · فلقد تبين أن الكتابة **الاوغاريتية** التى استخدمت الخط **المسمارى** او المسند ، كانت اول ولادة للابجدية التى اخذت شكلا متصلا عند الآراميين ثم العرب ، وكان التساؤل يدور حول اصل الكتابة الاوغاريتية التصويرى ، اذ أن اكثر الكتابات العالمية ابتدأت من الصورة كوسيلة للتخاطب ثم انتقلت الى الرمز ككلمة ثابتة حتى تمكن العقل البشرى من ابتكار الحروف الابجدية التى سهلت مهمة الكتابة والقراءة · وقدمت الحضارة الكنعانية (الاوغاريتية والفينيقية) اول ابجدية انتشرت فيما بعد فى اكثر الكتابات ·

□ الشام مهد الكتابة العربية :

كان العرب قبل الاسلام كالتدمريين (فى الشام) وسكان الحضر (فى العراق) يتكلمون الآرامية وهى لغة شقيقة للعربية الاسلامية وبينهما من التقارب والوحدة ما يؤكد اصلهما الواحد · اما العرب الانباط (فى جنوب الشام) فكانوا يتكلمون بالعربية ويكتبون بالآرامية المعدلة ، وكان يبدو من النقوش التى عثر عليها حتى الآن ، ان الكتابة العربية قد تطورت بشكل ظاهر عن الكتابة النبطية · ثم اخذت تستقل وتتكون منتشرة من الحيرة (فى العراق) مهد الادب والحضارة الى الانباط (فى الجزيرة العربية) كما يقول المؤرخون العرب ، وان كانت الكشوف الاثرية الحديثة قد ابانت ان منشأ الكتابة العربية هو بلاد الشام ، تشهد على ذلك كتابة ام الجمال (حوران) وكتابة النمارة (حوران) ونقش زبد (ج · حلب) ثم تأتى اول كتابة عربية جاهلية عثر عليها فى حوران ــ اللجا أيضا وترجع الى عام 463 م وهى كتابة قاعدية انيقة ·

□ ثلاثمائة وخمسون مليونا يكتبون بالعربية :

لقد انتشرت الكتابة العربية بسرعة مذهلة مع انتشار الحضارة العربية بعد الاسلام ، وعدا الجزيرة والشام فلقد اصبحت سائدة فى العراق وفارس وخراسان وما وراء النهر والسند ، وانتشرت فى ارمينية والقوقاز وديار بكر وآسية الصغرى ، كما انتشرت فى مصر وشمالى افريقية كله وفى بلاد الاندلس ، وبقيت مستمرة فى اكثر هذه الامصار حتى

بعد غياب السلطة العربية ، بل حتى بعد نزوح المسلمين · كما تم فى بلاد الاندلس حيث استمر المدجنون زمنا يستعملون العربية فى الكتابة الاسبانية ، واطلق على هذه الكتابة اسم (**الجميادو**) وهى تحريف لكلمة (الاعجمى) وما زال الحرف العربى وسيلة الكتابة عند ثلاثمائة وخمسين مليونا من المسلمين نراه باشكال مختلفة تستند وتستمد شخصيتها من التراث الكتابى الضخم الذى يتجلى فى النقوش المعمارية وفى المخطوطات ·

□ انواع الخطوط فى نشاة الاسلام :

من اوائل اشكال الخط العربى التى ظهرت ايام الرسول الخط **المكى والمدنى** ويصف صاحب الفهرست — ابن النديم — هذا الخط « ففى الفاته تعويج الى يمنة : اليد واعلى الاصابع ، وفى شكله انضجاع يسير» على ان ثمة خطا آخر يميل الى التربيع فى زواياه ويطلق عليه اسم (**المزوى**) وكان يستعمل للاخبار العامة ومنشؤه الكوفة · ثم تظهر المصاحف الشريفة السبعة التى كتبها زيد بن ثابت فى عهد عثمان وقد كتبت بالخط المدنى ذاته او بقلم **الطومار**(؟!) « وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شىء مستدير » كما يقول القلقشندى · ومهما يكن من امر فان خطوط مصاحف عثمان ، لم تخرج عن الخط المدنى وهو تطوير واضح للخط النبطى · ولا بد من الاشارة الى ان هذا الخط يمتاز بالامور التالية لاحظها الدكتور المنجد :

1 — ربطت الحروف فى الكلمة الواحدة ، الا الحروف التى لا تربط

2 — شكل الحروف النهائية فى الكلمة مختلف عن شكل البدائية فيها ·

3 — ان ملاحظة ابن النديم فى شكل الالف وميلان الكتابة صحيحة·

وفى عهد عمر ظهر خط **((المشق))** وفى القاموس المشق فى الكتابة : مد حروفها · وهو خط سريع ممتد الحروف غامض التركيب ، ومن الخطوط التى كانتتكتببها المصاحف ويختلف عن الخط المدنى فى انتصاب مداته ·

وفى عهد عمر ايضا ظهر خط جديد فى الكوفة التى انشاها بامره سعد بن ابى وقاص واطلق عليه اسم الخط **الكوفى** : وهو خط يابس فيه صنعة وهندسة لعلها استمدت من الكتابة السريانية التى كانت شائعة فى اطراف الكوفة وبخاصة فى الحيرة · ولكن الخط الكوفى لم يكن يابسا دائما بل ظهر خط مقور مستدير كما يقول ابن مقلة ، وهو يشبه النسخى المعروف اليوم · ولقد انتقل منذ ذلك الوقت الى المدينة ومنها الى مصر ·

□ الكتابة فى عهد الامويين والعباسيين واشهر الخطاطين

وفى عهد الامويين ظهر الخط **الشامى** ويعتقد ابن النديم ان الخطاط « قطبة المحرر » وهو اول من ابدع الخط العربى وطوره ، فقد ابتدع اربعة اقلام لعلها **الجليل والطومار والثلث والنصف** ، الاولان يابسان والاخران لينان · واشتهر من الخطاطين فى العهد الاموى مالك ابن دينار — وخالد بن ابى الهياج — وشعيب بن حمزة واسحاق بن حماد ، وابراهيم الشجرى · وقد لا يكون الخط الشامى بعيدا جدا من الخط الكوفى بنوعيه ، ولكن الفروق بينهما ترجع الى اختلاف طرائق الخطاطين ، بدا ذلك ايضا فى الخطوط المعاصرة الاخرى كالخط المصرى والقيروانى ، وفى الخطوط التى ظهرت فيما بعد فى العصر العباسى وذكرها ابن النديم **كالمثلث والمدور والراصف والمصنو والتجاويد** ولعل من اشهر الخطاطين فى العصر العباسى ، الاحول المحرر وهو احد كبار الخطاطين ، وكان وزير المعتصم معجبا بخطه ولا يكتب له احد غير الاحول · ولقد ابتكر من الاقلام — **المسلسل** وهو خط متصل لا انقطاع بين حروفه · **والحمام** ، وكان يستعمل لكتابة الرسائل وسمى **بالغبارى** ،**والاجازة**، وهو خط قريب من الثلثوالنسخى· اما ابو على محمد بن مقلة المتوفى عام 228 هـ فقد كان وزيرا للمقتدر والقاهر بالله وللراضيبالله ، ثم وشى به فقطع الراضى يده اليمنى فصار يكتب باليسرى ، وقيل كان يشد القلم على ساعده المقطوع عند الكتابة ، وابتكر ابن مقلة خط **النسخ** الذى انتشر عنه ثم تطور ، واشتهر عبد الله بن مقلة مع اخيه بكتابة الخط الجميل وان كان قد تتلمذ علىالاحول المحرر · وكان ابنا مقلة ، الوزير واخوه قد برعا فى خط **الثلث** وقلم **التوقيعات** ، وكان اسلوب ابن مقلة الوزير فى خط الثلث يتناقله الخطاطون والمحررون · ومن اشهر من اخذ باسلوب ابن مقلة عبد الله بن اسد القارى المتوفى عام 410 هـ وكان يكتب الشعر بخط قريب من المحقق، واخذ عنه ابن اسد ، الخطاط الاشهر ابن البواب صاحب المعجزات فى حسن الخط كما يقول ابن الفوطى · ولعله تجاوز الوزير ابن مقلة فى

مقدرته على تجديد خط الثلث وتنويعه.

واذا كانت آثار ابن مقلة مفقودة ولا يمكن التعرف على نماذج من خطه الا عن طريق ما شرحه الكتاب والمؤرخون فان بعضا من آثار ابن البواب قد وصلت الينا مثل ديوان سلامة بن جندل والقرآن المحفوظ فى مكتبة شستربتى فى دبلن ، بل ان مخطوطا هاما عثر عليه الدكتور صلاح المنجد ونشره وهو كتاب « جامع محاسن كتابة الكتاب» كان قد جمعه وكتبه بخطه محمد بن حسن الطيبى ، احد كبار الخطاطين فى القرن العاشر الهجرى ، بأسلوب ابن البواب المتعدد الاقلام ، وبهذا يكشف هذا الكتاب عن اشكال انواع الاقلام التى كانت تعرف اسماؤها دون التاكد من اشكالها المطابقة لهذه الاسماء ، ومن الاقلام التى عرض الطيبى نماذجها على انها من طريقة ابن البواب هى قلم **الثلث** المعتاد (وهو **خفيف الثلث**) قلم **المنشور** قلم **التواقيع** (او التوقيعات) ، قلم **جليل الثلث** (او الثلث الثقيل) قلم **المصاحف** ، **المسلسل** ، **الغبار** ، **النسخ** ، **جليل المحقق** ، **الريحان** ، قلم **الرياشي** (او الرياسى) وقلم **الحواش** ، **والاشعار** ، **والرقاع** ، **والمقترن** ، وقلم اللؤلؤى .

ثم ازدهرت المدرسة الفارسية فى العهد التيمورى والصفوى وظهر الخط **الفارسى** وقلم **نستعليق والديوانى والهمايونى والكوفى الايرانى** وفيه جمع بديع من الزخرفة التخيلية والخط الجميل ، ومنه **الكوفى المزهر** الذى انتقل الى مصر فى عهد الفاطميين .

وكان مير على ، الوزير والشاعر والموسيقى ، من اشهر خطاطى هراة وبخارى فى القرن الخامس عشر واليه يرجع ابتكار خط نستعليق ، ثم ظهر فى هراة الخطاط الشهير سلطان على مشهدى وابنه سلطان محمد نور كما ظهر فى تبريز الخطاطون عبد الرحمن الخوارزمى وولداه ، وقد ادخلوا تحسينات على خط **التعليق** ، اما خط **الرقاع** ، او **الرقعى** فلقد ابتكره الاتراك العثمانيون . ومن أشهر الخطاطين الاتراك واغزرهم انتاجا الحافظ عثمان بن على وكان معلم السلطان أحمد خان الثانى عام 1693 م .

واستمر الخطاطون فى المغرب العربى والاندلس بالتفنن بالخط الحجازى وربما اخذوا من الجليل والثلث فى خط مبتكر .

□ الكتابة العربية وصعوبة الطباعة :

لقد بلغ عدد اشكال الخطوط والاقلام العربية المعروفة الثمانين ، وشرح بعضا منها وكتب عنها القلقشندى فى صبح الاعشى (ج 30) ، وابان قواعد الخط وطرقه كما تحدث عن نشأته وفنونه . واذا اضفنا الى هذه الخطوط الثمانين ما استحدث خلال هذا القرن من خطوط منسجمة مع مفهوم الفن المعاصر ومع ضرورات الكتابة الاعلامية والمطبعية ، لبلغ عددها الضعف . كل هذا يعطينا الدليل على امكانية الكتابة العربية لاستيعاب ابداعات الخطاطين . ولكن لا بد من عرض ملاحظة فى نقطتين :

الاولى : ان هذه الانواع المتعددة من خطوط الكتابة العربية لم تخفف من الصعوبات التى تسببها الكتابة العربية فى التعليم او الطباعة ، بل ما زالت الخطوط التقليدية وهى الثلث والنسخى والرقعى والفارسى هى الخطوط المستعملة فى التعليم وبين هذه الخطوط من الفروق ما يستعصى على المتعلم الناشىء الذى يرى نفسه أمام اشكال عديدة من الابجديات . ابجدية حروف البداية وابجدية حروف النهاية وابجدية جروف الوسط وابجدية الحروف المستقلة ، واذا تذكرنا ان اشكال حروف هذه الابجديات مختلفة باختلاف انواع الخطوط لوجدنا اطفالنا المساكين امام مئات الحروف المنوعة .

والنقطة الثانية : ان المجامع اللغوية او المؤسسات العربية الموحدة لم تسع بعد الى اعتماد خط موحد يسهل على الطالب والقارىء فهم ما يقراه ، ذلك ان الخطوط العربية المنوعة انما هى صيغ فنية ابداعية ولها شان هام فى نطاق الفن ، الا انها وسيلة لنقل الافكار والمعرفة ايضا فلا بد من اسلوب سهل محدد العلامات والحروف يخفف من صعوبات الطباعة ، وهى مشكلة لم تجد لها حلا حتى الآن .

□ ابتكار الاحرف الحديثة :

لقد انتشرت الكتابة اللاتينية انتشارا واسعا نظرا لعدم تنوع الحرف الواحد بحسب موقعه من الكلمة . وتبقى مشكلة الحروف الكبيرة والحروف الصغيرة تنتظر التوحيد لتخفيف الصعوبة على المبتدىء . اما الكتابة العربية فانها على جمالها واصالتها ما زالت تحتاج الى تبسيط ، ويشترط لايجاد حروف تستجيب لضرورات التعليم السريع وسهولة الطباعة الشروط التالية :

بحسصطعمكهل

حسصطعمكهلب

سصطعمكهلبح

صطعمكهلبحس

طعمكهلبحسص

عمكهلبحسصط

مكهلبحسصطع

كهلبحسصطعم

هلبحسصطعمك

لبحسصطعمكه

الأحرف الطباعية المبتكرة ومَوقعها المختلف من الكلمة

1 — أن تستمد هذه الكتابة من الخطوط العربية التقليدية .

2 — أن يختار من حروف هذه الخطوط الاشكال التى يمكن استعمالها متصلة ومنفصلة ويمكن استعمالها ايضا فى بداية الكلمة ووسطها ونهايتها دون تعديل .
مثل ذلك انه عوضا ان يكون لحرف العين اربعة انواع مثل (ع ع ع ع) نكتفى بحرف واحد مثل ء .

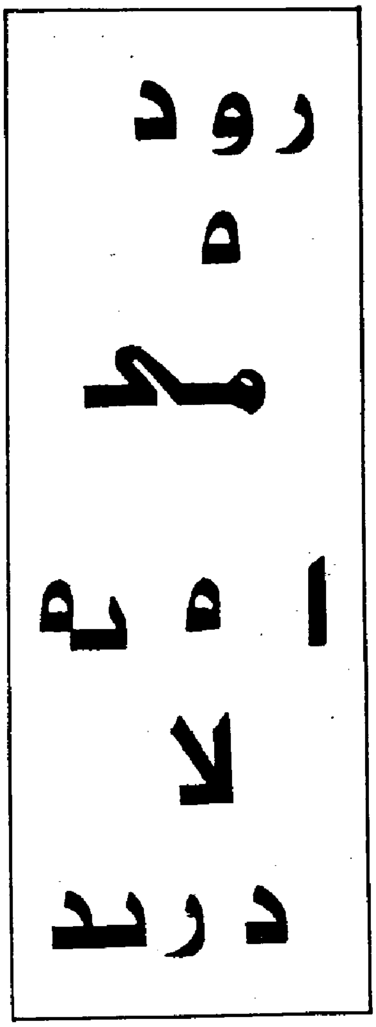

3 — أن يكون من الممكن كتابة هذه الحروف بالقلم (القصبة) او بالتسطير ، مما يعمم كتابة الخط ويسهل استعماله بين غير المختصين .

4 — لقد كانت الحروف فى البداية دون تنقيط حتى جاء ابو الاسود الدؤلى فى عهد الراشدين فاضاف اليها التنقيط . ولو بقيت الحروف بدون تنقيط حتى عهد الطباعة لخفف ذلك خمسة عشر حرفا اى ستين نوعا من الحروف المطبعية (البدائية والوسطى والنهائية والمستقلة) .
ولا بد من الانتباه الى هذه الملاحظة فى ابتكار الحروف الجديدة وذلك بفصل النقاط عن الحروف وليس بالغائها . ثم باضافتها عند الطباعة بالآلة الطابعة (الداكتيلو او الانترتيب) ، وهذا يسهل الى حد بعيد عملية الطباعة ويجعلها سريعة الانتشار اذ يختصر عدد الحروف الى 17 عوضا عن 28 حرفا او 72 حرفا منوعا وهو فرق واسع .

ولقد لجأ بعض الخطاطين المعاصرين فى العراق والشام الى ايجاد خط حديث تتوفر فى حروفه بعض الشروط المواتية لوسائل الطباعة . ودخلت حيز الاستعمال المطبعى الجزئى فى العراق وحيز الاعلان فى الشام ، ولكن هذه المحاولات لم تنجح فى تحقيق جميع الشروط ، ونحن هنا نضع امام القارىء محاولتنا فى ايجاد حروف سهلة واضحة محددة العدد ، نرجو أن تساعد فى حل مشاكل الحرف العربى التى عرضناها .

وانه من الواضح ان هذه الحروف مستوفية لجميع الشروط التى ذكرناها ، ولقد تناقص عدد الحروف بنسبة الثلث مما ينقص تكاليف الطباعة والجهد المبذول بنفس النسبة .

ومما يساعد فى سرعة تعلم القراءة والكتابة عند الاطفال والاميين والاجانب . ولم تخرج هذه الحروف فى جمالها ودلالتها عن اوضح الخطوط العربية المعروفة كالنسخى والكوفى .

والجدير بالملاحظة ان الحروف ظهرت بدون تنقيط لخدمة الطباعة واضافة النقط امر سهل فى الآلة ، وهذا التدبير هو الذى ادى الى انقاص عدد الحروف المطبعية ، فحرف ب مثلا كما نراه فى الجداول الموضحة اعلاه يحل محل بـ

بـ ـبـ ـب ب تـ ـتـ ـت ت ثـ ـثـ ـث ث

نـ ـنـ ـن ن يـ ـيـ وحرف حـ يحل محل

حـ ـحـ ـح ح جـ ـجـ ـج ج خـ ـخـ ـخ خ

وهكذا .

لقد ظهر الحرف العربى باشكال جميلة كثيرة التنوع ، مما يدل على حرية الابداع فى نطاق الحرف باعتباره عنصرا من عناصر الفن العربى وكدليل على غنى حرية الابتكار سنختار بعض اشكال حرف السين لنرى الفروق الكبيرة فى الاشكال مع الاحتفاظ بالعنصر الاساسى وهو الاسنان الثلاثة ومن المؤكد أن نفس التنوع ونفس الفروق قائم بين جميع الحروف الاخرى .

السين فى نقش ام الجمال ٢٥٠م ، ونقش النمارة ٣٢٨م ، ونقش حجر زبد ٥١١م

السين فى نقش حوران
٥٢٩ م

خط مدنى وشبه كوفى
وكوفى ق ١ هـ

خط نسخى قديم
١٤٣ هـ

فى الخط الـكوفى
المصرى ٨٢ هـ

خط كوفى
ق ١ هـ

خط نسخى قديم
١٤٣ هـ

فى الخط الـكوفى
المزخرف (بويهى)
٤٠٠ هـ

خط كوفى عراقى
منقوط ق ٢ هـ

خط كوفى
على دينار أموى
٨٠ هـ

كوفى مؤرخ ٢٥٢ هـ
كوفى هندسى

كوفى منقوط
ق ٢ هـ

خط المحقق
مملوكى

خط
اندلسي

الخط القيروانى
القــديم

الخط الكوفى السورى
٤١٣ هـ

خط كوفى
من العهد الصـفوى

خط كوفى ايرانى
متأخــــر

كتــابة يدوية
شـبيهة بالمسلـسل

الـسين فى الخط الثلث

السين فى الخط الفارسى

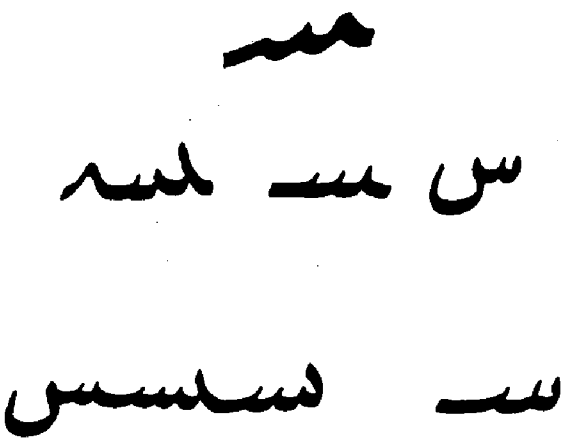

السين فى الخط النسخ

السين فى الخط الرقعى

السين فى الخط
الديوانى الفارسى

خصب

الخطوط العربيّة

وُ

خَطّ جُديد

لتسهيل

الطباعَة

والقراءة